﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: 71 - 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تعاقب اللّيل والنّهار ناطق بتجدُّد النِّعم، وشاهد على ما في صَنْعَةِ الباري من عِظَم

لَمّا بَيَّنَ الربُّ سبحانه مِنْ قَبْلُ اسْتِحْقاقَهُ لِلْحَمْدِ عَلَى وجْهِ الإجْمالِ[1]، وأنه الإله وحده إنْ وحَّدوا أو ألْحَدوا، أقامَ دليلًا دالًّا على نظامِ خَلْقِهِ وبديعِ صُنْعِهِ، بما اجتمع فيه سبحانه من العلمِ والحكمةِ وتمامِ القدرة، منبهًا على وجوب حَمْدِه، مُفَصِّلًا لبعضِ ما يُحْمَد عليه، فذكر سبحانه من آياته ما يَبْعَثُ على العِظةِ والاعتبار؛ في آيتي اللّيلِ والنَّهار، وقدّم اللّيل لأنَّ آيتَه عَدَميَّةٌ، وهي أسبقُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَرْمَدًا﴾: أصل (سرمد) يدلُّ على الدَّوام، واشتقاقه من السَّرد، وهو التَّتابُع والتَّعاقُب والاستمرار، ولمّا كان الزَّمان إنَّما يبقى بتعاقُب أجزائه، وكان هذا التَّعاقب يُسمَّى سردًا، فمن هنا جاء اشتقاق السَّرْمَد[3]. والسَّرْمَد: دوام الزَّمان واتِّصاله من ليل أو نهار. والسَّرْمَد أيضا: الدّائم الّذي لا ينقطع. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 25/ 12.
(2) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 342.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سرمد).

عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. وليل سرمد؛ أي: طويل[1]. والجمع: سَرامِد، نحو: جَعْفَر وجَعافِر[2].

2) ﴿بِضِيَآءٍ﴾: أصل (ضوء) يدلُّ على نور[3]. ومنه الضَّوء والضِّياء: ما أضاء لك، وهو ما انتشر من الأجسام النَّيِّرة، وجمع الضِّياء: أضواء. ويقال: ضاءت النّار تضوء (ضَوءًا) و(ضوءًا)، وأضاءت، وأضاءها غيرُها، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾. والتَّضوُّؤ: أن يقوم الإنسان في الظُّلمة حيث يَرى بضوء النّار أهلَها ولا يرونه. وسمى اللّهُ كُتبَه المهتَدى بها ضياءً من حيث إنها تُنير وتُبَصِّر مَنِ اهتدى بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: 48][4].

3) ﴿تَسْكُنُونَ﴾: أصل (سكن) يدلُّ على الاستقرار، وخلاف الاضطراب والحركة، من هدوء أو ثبات[5]. ومنه السُّكون: ضِدُّ الحَرَكة. وسَكَن الشَّيء سُكونًا: استقرَّ وثبت. وكلُّ ما هدأ، فقد سكن، كالرّيح والحَرِّ والبرد والغضب. ومنه سكن دارَه، بمعنى: أقام بها، ويستعمل بمعنى الاستيطان كذلك. والسَّكَن: أهل البيت والدّار، وكذلك العيال. والسَّكن: كلُّ ما يُسْكَنُ إليه ويُطْمَأنُّ به من أهلٍ وغيره. والمسكن: المنزل والدّار والبيت، وجمعه مساكن[6]. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّـهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: تستَقِرّون به من النَّصَبِ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في هاتين الآيتين الكريمتين بيانٌ لامتنان الله سبحانه على عباده بما سخَّر لهم مِنَ اللّيل والنَّهار؛ حيث يوجّه الذِّكرُ الحكيمُ خطابَه للنّبيّ ﷺ بقوله: قل يا محمّد لهؤلاء

(1) الخليل، العين، والجوهريّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (سرمد).

(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (سرمد).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضوء).

(4) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (ضوء).

(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سكن).

(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (سكن).

(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 308.

المشركين باللّه من قومك على سبيل التَّفضُّل والامتنان والتَّبكيت والإلزام: أخبروني أيُّها القوم المشركون باللّه الجاحدون لنِعَمِه وفضائله سبحانه!؛ جعل اللّه عليكم اللّيل دائمًا لا نهارَ يعقُبُه إلى يوم القيامة مَنْ معبودٌ غيرُ الإلهِ المعبودِ وحده بحقٍّ، وهو اللّه سبحانه يأتيكم بنهار تُبصرون فيه؟ أفلا تسمعون سماعَ تَدَبُّرٍ واستبصارٍ! ثُمَّ قل لهم أيُّها الرَّسولُ الكريمُ أيضًا: أخبروني أيُّها القوم إنْ جعل اللّه عليكم النَّهار مستمرًّا متتابعًا لا ليلَ يعقبُهُ إلى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ اللّه المعبودِ بحقٍّ يأتيكم كذلك بليل تستقِرّون فيه وتستريحون من عناء التَّعب والمشقَّة؟ أفلا ترون هذه الظّاهرة الدّالَّة على قدرة اللّه ووحدانيَّته فتؤمنوا به وتخضعوا له سبحانه؟!.

اللّيل والنَّهار آيتان عظيمتان من تسخير الكريم الرَّحمن ذي القدرة والامتنان

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصل الآية عن سابقتها:

لمّا بيَّن سبحانه حقيقةَ أُلوهيَّتِه واستحقاقَه للحمد المطلق، وأنَّ مرجعَ الكلِّ إلى حكمته وقضائه، أتبعَه بعضَ ما يجبُ أن يُحمدَ عليه ممّا لا يقدرُ عليه أحدٌ سواه، وهو تبديلُ ظلام اللّيل بضياءِ النَّهار، وبالعكس[1]؛ فانتقل الكلامُ من الاستدلال على انفرادِه تعالى بالإلهيَّة بصفات ذاتِه إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته[2]، فناسَب ذلكَ أن تُفْصَلَ هذه الآيةُ عن سابقتها مستأنَفًا بها.

الاستدلال ببديع مصنوعات الله على تفرُّده بالألوهيَّة

غرضُ الأمرِ في: ﴿قُلْ﴾:

الغرض من الأمر في قوله: ﴿قُلْ﴾ هو التَّقرير لما سبق ذكره من التَّوحيد واستحقاق اللّه تعالى للحمد وتفرُّدِه بذلك، فكأنَّ سائلًا سأل عن آية استحقاقِه للحمد وانفراده به وحدَه سبحانه وبحمدِه؛ فسيقَ إليهم هذا الاستدلالُ بأسلوب تلقينِ النَّبيِّ ﷺ بأنْ يقوله

الأمرُ للتَّقريرِ بما هو يقين، والاستدلالُ بالتَّلقين

(1) النَّيسابوريّ، تفسير القرآن: 5/ 359.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 168.

لهم اهتمامًا بهذا التَّذكير لهذا الاستدلال ولاشتماله على ضدَّين متعاقبين، حتَّى لو كانت عقولهم قاصرةً عن إدراك دلالة أحد الضِّدَّين لكان في الضِّدِّ الآخرِ تنبيهٌ لهم، ولو قَصَّروا عن حكمةِ كلِّ واحدٍ منهما كان في تعاقُبِهما ما يكفي للاستدلال[1].

معنى الاستفهامِ وغرضُه في: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾:

الرُّؤية في قولِه: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ رؤية قلبيَّة، والاستفهام في ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ تقريريٌّ مسوق للتَّبكيت والإنكار[2]، فكأنَّه قيل: أخبروني إن جعل الله عليكم اللَّيل سرمدًا إلى يوم القيامة؛ مَن إله غير الله يأتيكم بضياء؛ أفلا تسمعون مثل هذه الدَّلائل الباهرة والنُّصوص المتظاهرة لتعرفوا أنَّ غير الله لا يقدر على شيء من ذلك؟ وأخبروني إن جعل الله عليكم النَّهار سرمدًا إلى يوم القيامة؛ مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ أفلا تبصرون الشَّواهد المنصوبة الدّالَّة على القدرة الكاملة لتقفوا على أنَّ غير الله لا قدرة له على ذلك[3]؟!.

الـرؤيـةُ قـلبيَّةٌ للتَّدبُّر والاعتبار، والاسـتـفـهـامُ تقريريٌّ للتَّبكيت والإنكار

تعيينُ المخاطَب في: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾:

الخطاب في الآية بقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ موجَّهٌ إلى الكافرين من أهل مكَّة - حرسها الله - أي: قلْ يا أكمل الرُّسل لأهلِ مكَّة: أخبروني إن جعلَ الله عليكم اللَّيل دائمًا إلى يوم القيامة لا نهارَ فيه مَن إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياءٍ أي: بنَهارٍ تطلبونَ فيه المعيشةَ؛ أفلا تسمعونَ سماع فَهْمٍ وقَبولٍ؟.

الـخـطـابُ لأهلِ مكَّة الكافرين، الّـذيـن عَـميَـتْ بـصـائـرُهـم عن نور اليقين

وقل لهم أيضًا: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: لا ليلَ فيه؛ مَن إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بليلٍ تسكنونَ فيه أفلا تبصرونَ ما أنتم عليه مِن الخطأ[4]؟!.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 313، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.
(3) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 103.
(4) الخازن، لُباب التّأويل: 3/ 370.

وممّا يُعزِّز الرّأي القائلَ بأنَّ الخطاب لكفّار مكَّةَ كونُ السّورةِ مكّيَّةً، وكان كُفْرُ أهل مكَّةَ مُتَمَثِّلًا في توحيد الأُلوهيَّة، فقُصد من توجيه الخطاب لهم إقامةُ الحجَّة عليهم. ثمَّ هو - بعد ذا - يصلح لكلِّ مَن يصلح توجيه الخطاب إليه ممَّن سارت على خطى الأوَّلين أقدامُهم، وضلَّت عن الحقيقة أوهامُهم.

دلالة التَّعبير بالشَّرط الافتراضي: ﴿إِن جَعَلَ﴾:

تنبيه الأبصار، وإيقاظ البصائر للتَّدبُّر والاعتبار

جيء في الشَّرطين في قوله تعالى: ﴿إِن جَعَلَ﴾ بحرف ﴿إِن﴾ الّذي يفيد الشَّكَّ؛ "لأنَّ الشَّرط مفروضٌ فرضًا مخالفًا للواقع"[1]، فلن يقع ذلكَ وهو من تمام رحمةِ اللّه وواسعِ فضلِه، غير أنَّه افتراضٌ غرضُه تنبيه الأبصار، وإيقاظ البصائر لرؤيةِ نِعَمِ اللّه تعالى الّتي قَصُرَتْ عقولُ الكافرين عن إدراكها.

دلالةُ التَّعبير بفعل التحويل ﴿جَعَلَ﴾:

تدبُّر نِعم المنعِم الجليل

(الجَعْل) مِنْ فِعْلِ ﴿جَعَلَ﴾ لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها، وهو أعمُّ مِنْ (فَعَلَ وصَنَعَ) وسائر أفعال القلوب والتّحويل، ويَرِدُ تارةً بمعنى الخَلْقِ والإنشاء نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، وتارة بمعنى التّحويل والتّصيير نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23]، وتارة بمعنى إيجادِ شيء من شيء وتكوينِه منه نحو: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 72]، وتارةً بمعنى الظنِّ المخالف للواقع نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19]؛ أي ظنّوهم واعتقدوهم[2]. والمعنى المحوريُّ للجعل هو تحويل الشَّيء إلى وضْعٍ أو هيئةٍ معيَّنة[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.
(2) الراغب، المفردات: (جعل)، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 2/ 29.
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (جعَل).

وهو في هذا الموضع: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يحتمل اللَّفظُ معنى (صيَّره وحوَّله)، وفي التَّعبير بهذا اللَّفظ إشارةٌ إلى زوال النِّعمة بعد ثبوتها، وتحوُّلها عنهم بعد أن عرفوها، ممّا يزيد من التَّبكيتِ والتَّوبيخ على كفرهم بِنِعَم الله عليهم. وممّا يؤكِّده مجيء الفعل ماضيًا لإفادة التَّحقيق.

ويحتملُ اللَّفظُ معنى الإنشاء والخلق، وفيه إعمالٌ للذِّهن بالتَّفكُّر في نعم الله ﷻ، أنْ: ماذا لو خلق الله تعالى اللّيل بظلمته الدائمة لا ينسخُه نهارٌ، أو النَّهارَ بضيائه الدائم لا يُغَيّرُه ليلٌ؟.

نكتة التَّعبير بلفظ الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة:

الغاية من التَّعبير بالرُّبوبيَّة الاستدلالُ على انفرادِ الله سبحانَه بالألوهيَّة

في غالب الاستعمال القرآنيّ يجيء التَّعبير بالرُّبوبيَّة في مواضع تصرُّفِ اللهِ تُجاهَ عِبادِه من خلقٍ ورزقٍ وتدبيرٍ وهدايةٍ، بينما يُعبَّر بالألوهيَّة في مواضع التَّكليفِ والتَّشريعِ والأمرِ والنَّهي؛ وقد يظنُّ النّاظرُ إلى هذه المعاني أنَّ الموضع هنا يقتضي التَّعبيرَ بلفظ الرُّبوبية لأنَّه موضعُ ذكرِ تصرُّفِ الله تجاهَ عبادِه من تدبيرٍ وحفظٍ بتتابع اللّيل والنَّهار، بيدَ أنَّ النُّكتةَ من ذكر لفظِ الألوهيَّة هنا ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ هو أنَّه إنَّما ساق ذِكرَ تلكَ النِّعم في سياقِ الاستدلالِ على توحيدِ ألوهيَّته واستحقاقِه للعبادَةِ والحمدِ وحدَه لا شريكَ له، وهو - أي: توحيد الألوهيَّة - المسلك الّذي ضلَّت فيه قريش مع اعترافهم بربوبيَّتِه سبحانَه.

ففي التَّعبير بالألوهيَّة تبكيت لقريش إذِ اتَّخذوا من دون الله تعالى أوثانًا آلهةً لا تقدر على شيء، ولا تستطيع الإتيان باللّيل بعد النَّهار ولا العكس، وتركوا عبادة الله تعالى الّذي سخَّر لهم ما في السَّماوات والأرض.

وثمَّة ملمحٌ آخرُ، وهو أنَّ الامتنان بنعمة تسخير اللّيل والنَّهار في هذه الآية قد أُلبِس ثوب التَّهديد بإذهابها، وهذا لا يقدر عليه إلّا إله قويٌّ متين؛ فلذلك كان التَّعبير بالألوهيَّة في هذا السِّياق أنسب.

معنى (على) ودلالتها في ﴿عَلَيۡكُمُ﴾:

استعلاءٌ حقيقي دالٌّ على القدرة ومجازيٌّ مُـؤْذِنٌ بالعقاب

الأصل في معنى (على) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوّ[1]. وهذا المعنى جليٌّ هنا من حيث إنَّ اللّيل والنَّهار آيتان سماويَّتان، والسَّماء اسم لكلِّ ما علا، ففي التَّعبير بـ(على) إيماءٌ مجازيٌّ إلى العقاب بسرمديّة اللّيل أو النّهار على الكافرين، فإذا جَعَلَ اللّهُ ﷻ اللّيل أو النَّهار سرمدًا، فإنَّ معنى ذلك أنَّه عاقبةُ سوءٍ تعودُ على المخاطَبين بالآية المنكرين لنِعَم الله ﷻ، ثم إن التعبير بـ(على) فيه دلالةُ استعلاءٍ حقيقيٍّ وذلك بتصوير اللّيل والنَّهار كأنَّ كُلًّا منهما كساءٌ سابغٌ يُجَلِّل ما تحته، بقدرة عظيمة، وتصرّف محكم؛ ليس لأحد منه مناصٌّ ولا مفرَّ، كما قال النّابغة:

فإنَّك كاللّيل الّذي هو مُدْرِكي *** وإن خِلْتَ أنَّ المُنْتَأى عنكَ واسعُ[2]

نكتة تقديم شبه الجملة على المفعول به:

الأهـمُّ كـون الـضَّـرر واقـعًـا عـلى الـكـفّـار، لا مـجـرَّد جعل اللّيل سرمدًا أو النَّهار

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡكُمُ﴾ على المفعول به ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ للعنايةِ والاهتمام بالمقدَّم، ولإلقاء المهابة في نفوس المخاطبين أنَّ هذا الجعل - الّذي سيفسَّر بعدُ - إنَّما سيكون عليهم هم، وربَّما خُصّوا به عقوبةً لهم على كفرهم وإعراضهم.

سِرُّ تقديم ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ على ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ في الآيتين:

اللّيل مقدَّمٌ عُرفًا وشرعًا، ونسخُه بـآيـة الـنَّـهـار أعظمُ نفعًا

لتقديم ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ على ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ أكثرُ من علَّة؛ منها:

أولًا: أنَّ تقديمَ ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ على ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ جارٍ على ما بَنَت العَربُ عليه حسابَ شهورِها مِن تقديمِ اللّيل وجعلِ النَّهار تابعًا له، ولم يرد في كتابِ الله تعالى على كثرة تردادِه إلّا ذلك[3].

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 230، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 497، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 47.

(2) النّابغة، الديوان، ص: 30.

(3) الغِرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 386.

ثانيًا: وأنَّه قدَّم اللّيل على النَّهار لأنَّ ذهاب اللّيل بطُلوع الشَّمس أكثر فائدةً مِن ذهاب النَّهار بدُخول اللّيل[1]؛ ذلك أنَّ اللّيل ظرفٌ للسُّكون، والسُّكونُ واحدٌ، أمّا النَّهار فظرفٌ للابتغاء مِن فضل الله تعالى، والسَّعيُ مختلف المشارب، متنوّع الأسباب، متعدّد الطَّرائق، فقُدِّم اللّيل باعتبار أنَّ دوامَه فيه إذهابٌ لمنافع النَّهار المتعدّدة، في مقابل منفعته الواحدة.

ثالثًا: وأنَّ نسخَ اللّيل بالنَّيِّرِ الأعظمِ أبلغُ في المنافعِ وأضمنُ للمصالِح مِن نسخ النَّهار باللّيل فتقديم ذكر اللّيل لانكشافِه عن النَّهار الّذي يمكن من التَّصرُّف في المعايش بالسَّعي في المصالح إلى ما لا يُحصى كثرةً من المنافع المتعلّقة بالشَّمس أحقُّ وأولى[2].

رابعًا: وأنَّ نسخَ اللّيل بالنَّيِّرِ الأعظمِ أبلغُ في المنافعِ وأضمنُ للمصالِح مِن نسخ النَّهار باللّيل؛ فتقديم ذكر اللّيل لانكشافِه عن النَّهار الّذي يمكن من التَّصرُّف في المعايش بالسَّعي في المصالح إلى ما لا يُحصى كثرةً من المنافع المتعلّقة بالشَّمس أحقُّ وأولى[3].

خامسًا: ومنها: أنَّ اللّيل مقدَّمٌ على النَّهار شرعًا وعُرفًا[4].

الموقع النَّحويُّ والبيانيُّ لكلمة ﴿سَرْمَدًا﴾:

قوله تعالى: ﴿سَرْمَدًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، إنْ كان الجَعْلُ تصييرًا؛ والتقديرُ: (أرأيتم إن صيَّر الله اللّيل ليلًا دائمًا)، أو هو حالٌ إن كان الجعل بمعنى الخَلْق والإنشاء؛ والتَّقدير: (أرأيتم إن خلق الله اللّيل حال كونه دائمًا سرمدًا)[5].

هو مفعول على معنى التَّصيير، وحالٌ على معنى الخلق والتَّصوير

(1) الكِرمانيّ، أسرار التّكرار، ص: 197.
(2) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 1/ 993.
(3) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 1/ 993.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 314.
(5) السّمين، الدُّرُّ المصون: 8/ 692.

دلالة التَّعبير بـ﴿سَرۡمَدًا﴾ مادةً وصيغةً:

السَّرمد الدّائم المتتابِعُ الوَصْلِ، بلا انقطاع فيه ولا فصل

اتَّفق أهل اللغةِ على أنَّ ﴿سَرۡمَدًا﴾ بمعنى (دائمًا) إلّا أنَّ ﴿سَرۡمَدًا﴾ تزيد على معنى الدَّوام معنى الاتِّصال والتَّتابع وعدم الانقطاع، فالفرق بين السَّرمد والدّائم: أنَّ السَّرمدَ هو الّذي لا فصل يقع فيه، وهو اتِّباع الشيءِ الشيءَ[1].

فدلَّت كلمة ﴿سَرۡمَدًا﴾ من حيث المادَّةُ والصِّياغة أنَّ فَرْضيَّة استمرارِ اللّيل وعدمِ نسخه بنهارٍ يكون بلا انقطاعٍ، فيكون اللّيل ظلامًا لا يتخلَّله ضوءٌ ولو قليلًا، ولا يُفهم هذا المعنى من خلال لفظةٍ غيرِ لفظةِ سَرْمدًا؛ فسبحان مَن هذا كلامُه.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها:

انتهاء غاية أزمنة الدُّنيا دلالة على معنى الدَّوام

الأصل في معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على انتهاء الغاية[2]؛ كقولِكَ: سِرتُ مِنَ البصرة إلى بغدادَ. وجائزٌ أن تقول: سرتُ إلى الكوفَةِ، وقد دخلتَ الكوفةَ، وجائزٌ أن تكون قد بلغتَها، ولم تدخلْها؛ لأنَّ ﴿إِلَىٰ﴾ نهايةٌ، فجائزٌ أن تقع على أوَّل الحدِّ. وجائزٌ أن تتوغَّل في المكان، ولكن تُمْنَع من مجاوَزته؛ لأنَّ النِّهايةَ غايةٌ، وكلُّ ما كان بعدَه شيءٌ لا يُسَمَّى غايةً.

و﴿إِلَىٰ﴾ في الآية الكريمة متعلِّقٌ بـ﴿جَعَلَ﴾ أو بـ﴿سَرۡمَدًا﴾ ومعناها انتهاء الغاية، والمراد بالغاية في قوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إحاطَةُ أزمنة الدُّنيا وليس المرادُ انتهاءَ جعْلِه سَرْمَدًا[3].

نكتة التَّعبير بالغاية مع دلالة السَّرمد على الدَّوام:

المراد بالغاية في قولِه: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إحاطة أزمنة الدُّنيا

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغَويّة، ص: 276.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 230، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 380، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 463، والسّامُرّائيّ، معاني النّحْو: 3/ 16.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.

وليس المرادُ انتهاءَ جعْلِه سَرْمَدًا[1]، وكلُّ ما كان بعدَه شيءٌ لا يُسَمَّى غايةً، فإذا كانت الغايةُ يومَ القيامةِ الّذي تتغيَّر فيه قوانينُ الدُّنيا ولا يخضع فيه اللّيل ولا النَّهار لقانونِ التَّعاقبِ، ولا يحتاج فيه النّاس إلى ذلكَ فلا يكون تتابعُ اللّيل والنَّهار يومَ القيامة نعمةً؛ إذ لا نفعَ وراءه؛ لأنَّ المرءَ في الدُّنيا وفي حال التَّكليف مدفوعٌ إلى أن يتعبَ لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتمُّ له ذلكَ لولا ضوءُ النَّهار، ولأجله يحصل الاجتماع فتتمُّ المعاملات، ومعلومٌ أنَّ ذلك لا يتمُّ لولا الراحةُ والسُّكونُ باللّيل فلا بدَّ منهما والحالةُ هذه، فأمّا في الجنَّة فلا نصبَ ولا تعبَ فلا حاجة لهم إلى اللّيل؛ فلذلك يدوم لهم الضياء واللَّذات[2]. وهذا مناسب للتَّعبير بـ﴿سَرْمَدًا﴾ الّتي دلَّت على الدَّوام والتَّتابع في الدُّنيا دون انقطاع حتى تكون القيامة.

ما كانت الآخرةُ غايةَ انتهائه فلا انتهاء معه

نكتة حذف جواب ﴿إن﴾:

جواب الشَّرط في قوله تعالى: ﴿إِن جَعَلَ﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، والتَّقدير: (فمن يأتيكم بضياء تطلبون فيه معايشكم، وتستعينون فيه على قضاء حوائجكم؟)، وفي حذف الجواب - مع وجود ما يدلُّ عليه في سياق الكلام مما يَلْحَظُه أصحابُ الإحساس اللُّغَويِّ كالعربِ إبّانَ نزول القرآن - تنشيطٌ لذهن المتلقّي، وإعمالٌ لنظرِه في الكلام لاكتشافِ ما وراءَ حذفِه مِن أسرار؛ فإذا تدبَّر وجدَ في الكلام القرينةَ المقاليَّةَ الّتي تسعفُه في استنباطِ المحذوف والاهتداءِ إليه[3]، فلا يكونُ وراءَ الحذفِ غموضٌ أو إلغازٌ، بل عمقٌ في التَّعبير، وبلاغةٌ في الإيجاز.

مـن البـلاغـة أنَّ ما يُلْحَظ لا يُلْفَظ، وحذفُه تنشيطٌ للذِّهن وإعمالٌ للفكر

معنى الاستفهام وغرضه:

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 25/ 12.
(3) حسن طبل، عِلْمُ المَعاني، ص: 107.

إلزام الكفار بمعرفتهم أنَّ الله وحدَه هو القادر على الخلق

إنكاريٌّ، وهُم معترفون بهذا الانتفاءِ وأنَّ خالقَ اللّيل والنَّهار هو الله تعالى لا غيره[1]، فألزمهم لمعرفتهم واعترافهم بأنَّ الله وحدَه هو القادر على ذلك بأنْ يوحِّدوه لأنَّه هو المستحقُّ للعبادة وحدَه، وهذا هو محلُّ الإنكارِ، فكأنَّه قال: تعترفون أنَّ الله وحده هو القادر وهو الخالق وأنَّ تلك الآلهة عاجزة عن نفعكم وعن دَفْعِ الضُّرِّ عنكم إذا أراده الله عليكم ثمَّ تشركون به غيره؟!

علَّة الاستفهام بـ﴿مَنْ﴾ بدلًا من (هَلْ):

الغاية تبكيت المعرضين وبيان ضلالهم المبين

قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ وكان حقُّه - على ما يظهر - أن يسأل بـ(هل) لا بـ﴿مَنْ﴾ فإنَّ (هل) لطلب التَّصديق، وهو المناسب للمقام بحسب الظّاهر، وأمّا ﴿مَنْ﴾ فلطلب التَّعيين المقتضي لأصلِ الوجود؛ كأنَّه قال: هذه الآلهة الموجودة مَن مِنهم يقدر على الإتيان بضياءٍ يشقُّ ظلمةَ اللّيل أو ليلٍ يغطّي ضوء النَّهار إذا أراد الله جَعْلَ أحدِهما سَرْمَدًا؟ وكأنَّه سأل بـ﴿مَنْ﴾ جَرْيًا على زعمهم أنَّ آلهتهم موجودة تبكيتًا وتضليلًا وهو أبلغ لمناسبة المقام لهذا المعنى الشَّريف[2].

نكتة التنكير في لفظ ﴿إِلَٰهٌ﴾:

نفي صفة العظمة عن الآلهة المدَّعاة، وإثباتها لله سبحانه

تنكير الاسم ﴿إِلَٰهٌ﴾ لغرض التَّعظيم والتَّفخيم، فإنَّ قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ كأنَّه قال: مَن إلهٌ عظيمٌ قادرٌ يستطيع أن يأتيَ بضياءٍ أو ليلٍ حبسَه اللهُ عنكم؟ وفي هذا التَّعظيم المفهوم من تنكيرِ الاسم نفيٌ لصفة العظمة والقدرة على التَّصرُّف عن الآلهة المُدَّعاة؛ ممّا عُلم سابقًا من معنى الاستفهامِ في الآية، واعترافِ الكفّار بالانتفاء؛ فإذا كان ذلك كذلك وانتفت صفة العظمة والقدرة عن تلك الآلهة المزعومة الباطلة؛ فإنَّها تَثْبُتُ لله ﷻ وحدَه؛ إذْ عُلِم مِن الكلام أنَّ الإتيانَ بضياءِ النَّهار وظلمةِ اللّيل والتَّعاقب بينهما لا يقدر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 184، والشّهاب، عناية القاضي: 7/ 83.

عليه إلّا عظيمٌ متصرِّفٌ بهذا الكون وأنَّ آلهتهم لا تقدرُ على ذلك لانتفاءِ صفة الألوهيَّة وصفة العظمةِ والقدرة، وأنَّ الله يفعل ذلك وحدَه بقدرته وعظمته سبحانَه.

الموقع النَّحويُّ والبيانيُّ:

انتفاءُ الموصوف بانتفاءِ الصِّفة

قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله سبحانه: ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ صفة لـ﴿إِلَٰهٌ﴾. والجملة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ في محلِّ رفعٍ صفةٌ أخرى له، عليها يدور أمر التَّبكيت والإلزام كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 31]، وقوله سبحانه: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ [الملك: 30] ونظائرهما خلا إنَّه قصد بيانَ انتفاء الموصوف بانتفاء الصِّفة[1].

نكتة الإظهار في موضع الإضمار:

الإظهار لبيان العِلِّيَّة، وتعظيم الذّات العليَّة

في قول الله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ إظهار في موضع الإضمار؛ إذِ السِّياق أن يقال: (مَن إلهٌ غيرُه) بعد تقدُّمِه مُظهَرًا في قوله سبحانه: ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ وذلك لبيان العِلَّة في الحكم، وأنَّ تسخير اللّيل والنَّهار لا يقدر عليه إلّا إله عظيم قادرٌ. فلمّا لم تقدر آلهتهم الّتي يدعون من دون الله على شيء من ذلك فتبيَّن أنَّه لا إله إلّا الله؛ إضافة إلى ما في التَّعبير بلفظ الجلال من إلقاء المهابة والإجلال في نفوس المتلقّين ممَّن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد.

بلاغة الاستعارة:

الإتيان باللّيل والنّور مستعار للإيجاد بجامع المثول والظُّهور

في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، و﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾ استعارة بديعة؛ إذِ الإتيانُ بالضِّياء وباللّيل مستعارٌ للإيجادِ، حيث شبَّه إيجادَ الشَّيء الّذي لم يكن موجودًا بِجَلْبِ شيءٍ من مكان إلى مكانٍ، ووجه الشَّبه المُثول والظُّهور[2].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 313.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 169.

دلالة التَّعبير بالمضارع:

تعاقب اللّيل والنّهار يدل على التّجدُّد والاستمرار

التَّعبير بالفعل المضارع يفيد التجدُّد والاستمرار فكأنَّه قال: من إله غيرُ اللّه قادر على الإتيان بالضِّياء واللّيل متعاقبَيْن متجدّدَيْن على الدَّوام؟ وفي هذا المعنى أيضًا مقابلة للتعبير بكلمة ﴿سَرْمَدًا﴾؛ أي: إذا أراد اللّه تعالى ثبوتَ الظُّلمة أو الضَّوء دائمًا لا يتغيَّر، فمن إلهٌ مِن آلهتكم المزعومة قادرٌ على تغيير هذا الدَّوام بما يقابله مِن دوام التَّعاقب بين اللّيل والنَّهار؟.

نكتة تعدية فعل الإتيان إلى ضمير المخاطَبين:

إيصال النِّعمة إلى المخاطَبين، وإسباغها عليهم

في تعدية فعل يأتيكم في الموضعين إلى ضمير المخاطَبين إيماءٌ إلى أنَّ إيجادَ الضِّياءِ وإيجادَ اللّيل نعمةٌ عظيمة للنّاس، وليكون ذلك حجَّة على كلِّ قارئ لهذه الآيات أو مستمع لها، فهي تخاطبه هو؛ فتعاقُبُ اللّيل والنَّهار نعمةٌ لا يتفاضل فيها النّاس، إذ إنَّهم جميعًا يعاينونها ويلمسون أثرها. وهذا إدْماجٌ للامتنانِ في أثناءِ الاستدلالِ على الانفرادِ بالإلهيَّة[1].

معنى (الباء) ودلالتها:

بيان شدَّة تعلُّق الإتيان باللّيل والضِّياء متعاقبَينِ

في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، و﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾ الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق؛ كقولك: به داء؛ أي التصقَ به وخامرَه. ومررت به، والمعنى: التصق مروري بموضع يقرب منه. والإلصاق حقيقيٌّ ومجازيٌّ، فمن الإلصاق الحقيقِّي: قولك: (أمسكت بزيدٍ) إذا قبضتَ على شيء مِن جسمه، أو على ما يحبسه مِن يدٍ أو ثوبٍ أو نحوه. ومن الإلصاق المجازيّ قولك: (بخل به)؛ أي: التصق بخله به، وتعلَّق به إذا كان التَّعلُّق معنويًّا[2]. والإلصاق أو التَّعلُّق في هذه الآية هو اتِّصالُ الإتيان بالضِّياء لتأكيد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 170.

(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 217، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 474، والسّامُرّائِيّ، معاني النّحو: 3/ 19.

معنى قدرة الله تعالى على الإتيان بالضِّياء أو الظُّلمة فلقوَّة إعلامه بالقدرة وتعريفه بالله عُبِّر بهذا دون (يُؤْتيكم ضياءً)[1].

سرُّ إيثار التَّعبير بالضِّياء دون النّور أو النَّهار:

يلزم من وجود الضِّياء شروق الشمس وطلوع النَّهار

تدور معاني (نَهَرَ) حول التَّفتُّح والإرسال مِن شقٍّ، ومنه: (النَّهار)؛ لأنَّه انفتاح الظُّلمة عن الضِّياء؛ ولذلك سُمِّي أوَّلُه فَجرًا. أمّا (ضَوأ) فهو أصل صحيح يدلُّ على نورٍ، وأشعَّةٍ تنفذ من شيء وتنتشر فتزيل كثافة الظَّلام والإعتام[2]. وممّا سبق يظهر سرُّ إيثار التَّعبير بالضِّياء دون النَّهار في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾، فالأوَّل نورٌ وأشعَّةٌ منتشران، أمّا الثّاني فهو انفتاحُ الظُّلمة عن الأوَّل، فمَلْحَظُ الانتشار والإنارة وانقشاعِ الظُّلمة أظْهَرُ وأبْيَنُ في الضِّياء. إضافةً إلى أنَّ النَّهار يسبق الشَّمس في الظُّهور وتسبقُه في المغيب، أمّا الضِّياء فهو نورُ النَّهار وحرارة الشَّمس، فتزول بهما ظلمة اللّيل وبرودته؛ فلذلك عُبِّر به دون النَّهار.

أمّا النّور فلأنَّ ظلمة اللّيل قد تَخِفُّ قليلًا بنورِ القَمر فكان ذكرُ الضِّياءِ إيماءً إلى ذلك[3]، فقال: ﴿بِضِيَآءٍۚ﴾ ولم يقل: بنور؛ لأنَّ النّور قد يأتي مِن النُّجوم، وقد يأتي من القمر، أمّا الضياءُ - وهو نورٌ وأشعَّة وحرارة - فلا يأتي إلى الأرض إلا من الشَّمس؛ لذلك يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5][4].

معنى الاستفهام وغرضه:

تنزيل غير المنتفع بما يسمع ويرى منـزلـةَ الأصـمِّ الأعمى

لمّا استمرَّ المشركون على عبادة الأصنام بعد سطوع هذا الدَّليل وقد علموا أنَّ الأصنام لا تقدر على إيجاد الضِّياء ولا اللّيل - جُعِلوا كأنَّهم لا يسمعون هذه الآيات الّتي أقامت الحجَّة الواضحة على فسادِ

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 343.
(2) ابن فارس، المقاييس، والرّاغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نهر) و(ضوأ).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 170.
(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 18/ 11001.

معتقدِهم، ففرَّع على تلك الحجَّة الاستفهامَ الإنكاريَّ عن انتفاءِ سماعِهم بقولِه ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ أي: أفلا تسمعون الكلامَ المشتمل على التَّذكير بأنَّ اللّه هو خالق اللّيل والضِّياء ومنه هذه الآية[1]، وأيضًا عن انتفاء إبصارهم بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف اللّيل والنَّهار عليكم؛ رحمةً من اللّه لكم، وحجَّةً منه عليكم، فتعلموا بذلك أنَّ العبادة لا تصلح إلا لمَن أنعم عليكم بذلك دون غيره، ولمَن له القدرة الّتي خالف بها بين ذلك[2]، وإنَّما قال: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنَّ الغرض من ذلك الانتفاعُ بما يسمعون ويبصرون من جهةِ التدبُّر، فلمّا لم ينتفعوا نُزِّلوا منزلةَ مَن لا يسمع ولا يُبصر أصلًا[3]. وقد أحسن المتنبيّ إذْ قال:

وما انتفاع أخي الدُّنيا بناظِرِهِ *** إذا استوت عندَه الأنوارُ والظُّلَمُ[4]

فيكون الاستفهام إنكاريًّا لتوبيخ الكفّار وتبكيتهم، وتقدير الكلام: أفلا تسمعون سماع مَن يتدبَّر المسموع ليستدركَ منه قصد القائل، ويحيطَ بأكثر ما جعل اللّه في النَّهار من المنافع، أم أنتم صمٌّ عن سماع ما ينفعكم؟ وهل عميتم فما عدتم ترون ما أنتم فيه من الخطأ في عبادة غير اللّه سبحانه؟ فإذا أقررتم بأنَّه لا يقدر على إيتاء اللّيل والنَّهار غيرُه فلِمَ تشركون به[5]؟.

معنى (الفاء) ودلالتها:

نَـفْـيُ السَّـمـعِ والإبصار تفريعٌ عـلى الـكـفـر مع الإقرار

الفاء في قوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عاطفة على محذوف مقدَّر[6]، وجملة: (لا تَسْمَعونَ) لا محل لها، معطوفةٌ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 170.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 613.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 25/ 12.
(4) المتنبيّ، ديوانه، ص: 331، والبيت من قصيدة له في معاتبة سيف الدولة الحمداني، مطلعها:
واحرَّ قلباهُ ممَّن قَلبُه شَبِمُ *** ومَن بجسمِي وحالِي عندَه سَقَمُ
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 308.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 368.

استئنافٍ مقدَّر؛ أي أصممتم آذانكم فلا تسمعون؟! ومثلها جملة: (لا تُبْصِرونَ)[1]. وقد أفادت هذه الفاءُ التَّفريعَ؛ أي يتفرَّعُ على اعترافِكُم وإقراركم بأنَّه وحده سبحانه القادر على ذلك إنكارُ عدم السَّماع والبصر إذ لم ينفعكم السَّماع ولا البصر[2].

دلالة التَّعبير بالمضارع:

الحجج المتجدّدة آنًا بعد آنٍ يلزمها سمع وبصر متجدّدان

التَّعبير بالمضارَعَة يفيد التَّجدُّد والاستمرار، وهو مناسب لبيان كثرة الحجج وتتابع البيِّنات الدّالَّة على قدرته تعالى وعظمته وانفراده بذلك؛ والتَّقدير: (أفلا تُجَدِّدون السَّمع والبصر لتلك الحجج المتجدِّدة المتتابعة تتابُعَ اللّيل والنَّهار؟!).

نكتة حذف المفعول:

تنزيل المتعدّي منزلة اللّازم

حُذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لتنزيل الفعل المتعدّي منزلة الفعل اللّازم، وذلك لعدم تعلُّق الغرض بذكر المفعول؛ لأنَّ المراد في مثل هذه الحالة هو إفادة مجرَّد ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]؟.

فالمعنى: هل يستوي مَن لهم علم ومَن لا علم لهم؟ بغض النَّظر عن المعلوم أيًّا كان نوعه[3]، وكذلك الأمر في هذا الموضع فالمعنى: نَفْيُ السَّمع عنهم مطلقًا لا نَفْيُ سماعِ حجَّةٍ بعينها، ونَفْيُ البصر مطلقًا دون نَفْيِ مرئيٍّ بعينه. وفي ذلك تأكيد لمعنى تنزيلهم منزلة الأعمى الأصمّ. وفيه - مع ما تقدَّم - إيجاز بليغ.

بلاغة الإدماج في الآية:

الامتنان بالنِّعم المتناثرة في الاستدلال على الألوهيَّة بالبيِّنات المتكاثرة

في الآية انتقال من الاستدلال على انفراد الله تعالى بالألوهيَّة بصفات ذاته إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته، وفي ضمن

(1) محمود صافي، الجدول: 10/ 289.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 157.
(3) عبد العزيز عتيق، عِلْم المَعاني، ص: 130.

هذا الاستدلال إدماج الامتنان على النّاس وتعريضٌ بكفر المشركين لجلائل نِعَمِهِ ﷻ[1]. ففي وصف اللّيل بقوله: ﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾ إدماج للمِنَّة في أثناء الاستدلال للتّذكير بالنِّعمة المشتملة على نِعَم كثيرة، وتلك هي نعمة السُّكون فيه؛ فإنَّها تشمل لذَّة الرّاحة، ولذَّة الخلاص مِنَ الحرّ، ولذَّة استعادة نشاط المجموع العصبيّ الّذي به التَّفكير والعمل، ولذَّة الأمن مِن العدوّ[2].

وقد فُهِم مِن ذِكر السُّكون هنا مقابلُهُ المحذوفُ من قوله تعالى: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾؛ أي: تستضيئون به[3]، وتبصرون فيه معايشكم، وتصلح فيه الثِّمار والنَّبات[4]، وتبتغون فيه من فضل ربّكم ﷻ. فكُلُّ ما ذُكِر - مع كونه من دلائل الألوهيَّة - هو امتنان على النّاس بعظيم منَّة الله تعالى عليهم بتتابع اللّيل والنَّهار وما فيهما من آلاء متكاثرة ودلائل متناثرة.

نكتة تكرار الأمر:

التَّقرير يناسبه التَّكرير

كُرِّر الأمر بالقول: ﴿قُلۡ﴾ في مقام التَّقرير؛ لأنَّ التَّقرير يناسبه التَّكرير مثل مقام التَّوبيخ ومقام التَّهويل[5]، ولأنَّ اللّيل والنَّهار نعمتان مختلفتان، فناسب تكرار الأمر مع كلِّ نعمة منهما لتكون مستقلَّة في التَّذكير بها عن أختها.

بلاغة التَّكرار في الآية الثّانية:

التَّكرار أنسب لمقام التَّقريع، وآكد في التَّوبيخ والتَّشنيع

في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 168.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 170.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 612.
(4) البَغَوِيّ، معالم التّنزيل: 6/ 219، والقُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 308.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 168.

ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ تكرار لبعض الجمل، وذلك في قوله ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ﴾، وقوله: ﴿سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وقوله: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم﴾

وقد أوثِرَ الإطنابُ بالتَّكرار دون الاكتفاء بالعطف؛ إذ الغرض منه التَّوكيد وتقرير المعنى في نفوس أقوام متردِّدين في التَّصديق، معرضين عن التَّوحيد مع توافر أدِلَّتِهما.

ولمّا كان المقام هنا مقام توبيخ وتقريع ووعيد ناسَبَ أن تُذكَر الحُجَّةُ مكرَّرةً لأنَّها ساعتئذ تكون في الآذان أصْدَعَ، وفي القلوب أوْقَعَ[1]. ثمَّ إنَّ فيها مناسبة لما سيقت له من تكرار تعاقب اللّيل والنَّهار.

دلالة تقييد اللّيل بالوصف، وترك وصف الضِّياء:

منافع النَّهار متكاثرة منتشرة، غير مقصورة ولا منحصرة

لم يجئ التَّركيب (بنهار تَسْعَون فيه وتتصرَّفون فيه)، كما جاء ﴿بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾؛ لأنَّ منافع الضِّياء متكاثرة، ليس التَّصرُّف في المعاش وحده، والظَّلام ليس بتلك المنزلة، وأيضًا لأنَّ الضَّوء نعمةٌ في ذاته مقصود بنفسه وليس اللّيل كذلك[2]. ولمّا كان النّور نعمةً في نفسه، وبه يُعْرَفُ خالقُه، صرَّح به وطوى أثره فقال: ﴿يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾؛ أي: يولِّد نهارًا تنتشرون فيه[3]؛ ليُؤْذِنَ بأنَّ منافع النَّهار ليست مقصورة على التَّصرُّف؛ فإنَّ منافعه متكاثرة، ولهذا لا يطَّلع عليه كلُّ أحد. كأنَّه قيل: أتيناكم بضياءِ الشَّمس؛ ليتسهَّل لكم جميع ما تفتقرون إليه من التَّصرُّف في المعاش وغيره[4].

ولو قيل: بضياء تتصرَّفون فيه لفُهِم أنَّه إنَّما يُقصد لما يتوصَّل إليه ولا يُقصَد لنفسه، ولأنَّه لو وصف الضِّياء بما يقابل ما وُصِفَ

(1) أحمد شعيب، علوم البلاغة العربيَّة، ص: 336.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 321، والبَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 4/ 184.
(3) الزَّمَخْشَريّ، الكشّاف 3/ 429، والبِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 343.
(4) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 102.

به اللّيل لفُهِم أنَّ منفعته منحصرة فيما وُصِف به وليس بمنحصرة فيه، بل له منافع كثيرة؛ ولذلك أُطلق الإيذان بذلك والاحتراز عن توهُّم الانحصار[1]، فتجريد الضِّياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودًا بذاته ظاهرَ الاستتباع لِما نيط به من المنافع[2].

بلاغة الاحتباك في الآية:

من بديع الإيجاز تأدية كثير المعاني بقليل المباني في فصاحة ووضوح

في الآية احتباك بديع، وتقديره: ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾ مظلم ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾، و: ﴿يَأْتِيكُم﴾ بنهار ذي (ضياءٍ) تبتغون فيه من فضله، فَذَكَرَ الضِّياءَ أوَّلًا دليلًا على حذف الظَّلام ثانيًا، وذَكَرَ اللّيل والسُّكون ثانيًا دليلًا على حذف النَّهار والانتشار أوَّلًا[3]. والمعنى: ألم يروا أنّا جعلنا اللّيل مظلمًا ليسكنوا فيه، والنَّهار مبصرًا ليبتغوا فيه من فضله، فحذف من الأوَّل نقيض ما ذكر في الثّاني، ومن الثّاني نقيض ما ذكر في الأوَّل[4]. وهذا من بديع الإيجاز، حيث يؤدَّى كثيرُ المعاني بقليل المباني بلا غموض ولا إيغال.

عِلَّة اختلاف التَّذييل:

السَّماع لظلمة اللّيل أنسب، والبصر مع ضوء النَّهار أقرب

قُرِن بالضِّياء قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأنَّ السَّمع يدرك ما لا يدركه البصر مِن ذِكر منافعه ووصف فوائده، وقُرِن باللّيل قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأنَّ غيرك يبصر من منفعة الظَّلام ما تبصره أنت من السُّكون ونحوه[5]. فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ مناسب للمدرَك ليلًا من ضربَيْ ما يُعتَبَر به مِن المسموعات والمبصَرات، إذ اللّيل حائل دون المبصَرات، وإنَّما تُدرَك فيه المسموعات؛ لأنَّ ظلمة اللّيل غير مانعة من إدراكها، فجيء معه بما يناسبه، فلو اللّيل كان دائمًا لم تكن للنّاس رؤية، لأنَّ رؤية الأشياء

(1) محيي الدين زاده، حاشية على البَيْضاوِي: 6/ 470.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 23.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 344.
(4) ابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 262.
(5) الزَّمَخْشَريّ، الكشّاف 3/ 429.

مشروطة بانتشار شيء من النّور على سطح الجسم المرئيّ، فالظُّلمة الخالصة لا تُرى فيها المرئيّات؛ ولذلك جيء في جانب فرض دوام اللّيل بالإنكار على عدم سماعهم فقيل: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾. وجيء مع ذكر النَّهار بما يناسب أيضًا، فقيل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنَّ المبصَرات تدرَك نهارًا ولا تدرَك في ظلمة اللّيل، فجيء مع كلٍّ بما يناسب[1].

سرُّ تقديم السَّمع على البصر:

الدَّلائل النَّصِّيَّة المدرَكة بالسَّمع أسبق وأولى من الدَّلائل العقليَّة المدرَكة بالنَّظر

تقديم ﴿تَسْمَعُونَ﴾ وتأخير ﴿تُبْصِرُونَ﴾ لأنَّه يأتي عَقيبَ السَّماع استدراكُ المرءِ المرادَ بالمسموع إذا كان هناك تدبُّرٌ له وتفكُّرٌ فيه[2]، ولأنَّ مدرَك السَّمع أكثر من مدرَك البصر، واستفادة العقل من السَّمع أجلُّ من استفادته من البصر، وفي ذلك دلالة على أنَّ دلالة النَّصّ أولى وأقدم من دلالة العقل[3].

وثمَّ ملمح آخر، وهو أنَّه لاعتبار الأوَّليَّة والآخريَّة ذُيِّلت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ بناء على أنَّ المعنى أفلا تسمعون ممَّن سلف من آبائكم أو ممّا سلف منّا أنَّ آلهتكم لا تقدر على مثل ذلك؟ بينما ذُيِّلت الثّانية بقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ بناءً على أنَّ المعنى أفلا تبصرون أنتم عجزَها عن مثل ذلك[4]؟!

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّظر والبصر والرُّؤية:

النَّظر توجيهُ البَصَر إلى شيء لرؤيته، والبَصَرُ إبصارٌ بالحاسّة، والرؤيةُ إدراكُ المرئيّ

الفرق بينها أنَّ النَّظر تقليبُ العين حيال مكان المرئيّ والإقبالُ بالبَصَرِ نحوه طلبًا لرؤيته؛ ولذلك قد يَنظر الإنسانُ إلى شيءٍ ولا يراه، والرؤيةُ هي إدراكُ المرئيّ[5]، وذلك أضرب بحسب قوى

(1) ابن الزُّبير الغِرناطيّ، مِلاك التّأويل: 2/ 386، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(2) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 104.
(3) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 102 - 103.
(4) الآلوسيّ روح المعاني: 10/ 314.
(5) العسكريّ، معجم الفروق اللُّغَويّة، ص: 543، 544.

النَّفْس، ومن هذه الأضرب ضربٌ بالحاسّة وما يجري مجراها، نحو قول الله ﷻ: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: 6 - 7]، وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 60]، وضربٌ بالوهم والتَّخيُّل، نحو: أرى أنَّ زيدًا منطلِقٌ[1]. والبَصَرُ في الإنسان حِسُّ العين وحاسَّةُ الرؤية، ويُقال: للجارحة النّاظرة[2]. وبصر الشَّيء يعني إبصار صورته وشكله بالحاسَّة؛ فلا يكون بالوهم والتَّخيُّل كما في أضرب الرؤية. ولمّا كانت الرؤيةُ هي إدراكُ المرئيّ، كان الإبصارُ أسبقَ منها؛ لأنَّ إدراكَ الشَّيء يكون بعد إبصاره[3].

الجَعل والخَلق:

في الجَعل معنى التَّصيير، وفي الخَلق معنى التَّقدير والتَّسوية

الفرق بينهما أنَّ الخَلْقَ فيه معنى التّقدير والتّسوية[4]. والمعنى المحوريّ لجذره: تهيئةٍ مادَّة لتكون شيئًا معيَّنًا مرادًا[5]، أما الجَعلُ ففيه معنى تصيير الشَّيء على حالة دون حالة[6]، والمعنى المحوريّ لجذره: تحويل الشَّيء إلى وضع أو هيئة معيَّنة[7].

السَّرمد والأبد:

السَّرمد لدوام اللّيل أو النَّهار وهو دوامٌ له حدٌّ زمنيّ، والأبد لدوامٍ بلا حدٍّ زمنيّ

الأبَد: عبارة عن مُدَّة الزَّمان الممتدّ الّذي لا يتجزَّأ كما يتجزَّأ الزَّمان؛ ولذلك يقال: زمان كذا، ولا يقال أبد كذا[8]. ويدور المعنى المحوريّ لجذره حول البقاء الدّائم أو الإقامة الدّائمة بلا حدّ. ومن

(1) الراغب، المفردات: (رأى).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (بصر).
(3) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروق اللُّغَويّة في القرآن الكريم، ص: 285.
(4) الزَّمَخْشَريّ، الكشّاف: 2/ 3، والبَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 2/ 153، وأبو البقاء الكَفَويّ، الكُلِّيّات، ص: 430.
(5) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (خلق).
(6) الرّاغب، المفردات: (جعل).
(7) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (جعل).
(8) الرّاغب، المفردات: (أبد).

انتفاء الحدّ الزمنيّ: الأبَد، فهو ظرفٌ زمنيّ للدَّوام بلا حدود[1]. أمّا السَّرمد: فهو دوام الزّمان واتصاله من ليل أو نهار[2]. والسَّرمد: الدّائم الّذي لا ينقطع[3]. ومعناه المحوريّ: الدّوام الزمنيّ. ورأى ابن فارس أنَّ الميم زائدة فأعادها إلى السّرد، أي إنَّ فيه معنى الامتداد والتّوالي. وهذا امتدادٌ وتوالٍ زمنيّ لا ينقطع[4].

وممّا سبق يتبيَّن أنَّ السَّرمدَ يفترق عن الأبَد بأنَّ السَّرمدَ يُعبَّر به عن دوام اللّيل واتصالِه، أو دوامِ النَّهار واتصالِه، ولا يُعبَّر بالأبَدِ عن ذلك، ويتبيَّن أنَّ الأبدَ يُستعمل في التعبير عن دوام زمنيٍّ بلا حدود، أمّا السَّرمدُ فهو دوامٌ له حدٌّ؛ لذا قال الله تعالى في الآيتين: ﴿سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. ولمّا كان الأبدُ يدلُّ على الدَّوام المكانيّ والزَّمانيّ بلا حدود، عُبِّر به عن إقامة أهل الجَنَّة الدائمة بلا حدّ، ولم يُعبَّر عنها بلفظ السَّرمد.

الضِّياء والنّور:

الفرق بينهما يتمثَّل في أنَّ الضّياءَ تَصحبه الحرارةُ والدِّفء، والنّور إنارةٌ حليمة، ولذلك يُسَمَّى نورُ القمر النّور الحليم؛ فلا تحتاج إلى الظِّل لتستظلَّ من حرارته، ولكنَّك تحت الشمس تحتاج إلى مظلَّة لتقيك حرارتَها[5].

الضياءُ تَصحبه الحرارةُ والدِّفء، والنّورُ ضَوءٌ ليس فيه حرارةٌ ولا دفءٌ

الفرق بينهما يتمثَّل في أنَّ الضّياءَ تَصحبه الحرارةُ والدِّفء، والنّور ليس كذلك فلا تحتاج إلى الظِّل لتستظلَّ من حرارته، ولكنَّك تحت الشَّمس تحتاج إلى مظلَّة لتقيَك حرارتَها، فتبيَّنَ ممّا سبقَ أنَّ النّورَ هو ضوء ليس فيه حرارة، والحرارة لا تنشأ إلا حين

(1) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (أبد).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، التهذيب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (سرمد).
(3) ابن منظور، اللّسان: (سرمد).
(4) ابن فارس، المقاييس: 3/ 160، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (سرمد).
(5) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراوي: 9/ 5738.

يكون الضَّوء ذاتيًّا من المضيء مثل الشَّمس. أمّا القمر فضوؤه غير ذاتيّ، ويكتسب ضوءَه من أشعّة الشَّمس حين تنعكس عليه، فهو مثل المرآة حين تسلّط عليها بعضًا من الضَّوء فتعكسه، فالشَّمسُ تعطي ضياءً، والقمرُ يعطي نورًا؛ لذا قال اللّه ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5][1].

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراوي: 9/ 5738.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»